مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (29) العدد (1)2007
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Series Vol. (29) No (1) 2007

الموت والانبعاث في قصيدة "بعد الجليد" للشاعر خليل حاوي

الدكتور يعقوب البيطار*
الدكتور فاخر ميّا**
زكوان العبدو***

(تاريخ الإيداع 19 / 2 / 2007. قبل للنشر في 2007/5/7)

□ الملخّص □

لعل أسطورة تموز إله الربيع، رمز الولادة بعد الموت، وأسطورة العنقاء، التي تتجدد كلما احترقت، من أهمّ الأساطير التي احتفى بها الشعراء المعاصرون، وتمثلوها في أشعارهم للتعبير عن رؤاهم. ويعدّ الشاعر خليل حاوي من الشعراء المبرزين في هذا المجال، فقد استغل هاتين الأسطورتين للتعبير عن الأزمة الحضارية، والتوق إلى بعث الحضارة العربية من جديد وتعد قصيدة " بعد الجليد" أنموذجاً خصباً للاستفادة من هاتين الأسطورتين، إذ نجد– بإسقاط البعد الأسطوري على الواقع المادي – رؤيا اليأس من الواقع، ورؤيا الانبعاث الحضاري وتبلور الرؤيا القومية في فلك التجربة الوجودية التي يقدمها الشاعر في هذه القصيدة.

كلمات مفتاحية: انبعاث، أسطورة، تموز، العنقاء، الجليد، خليل، حاوي.

* أستاذ – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
** أستاذ – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
*** طالب دكتوراه – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (29) العدد (1)2007
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Series Vol. (29) No (1) 2007

Death & Resurrection in '' Beyond Glaciations '' by Khalil Hawi

Dr. Yakoub Al-Bittar*
Dr. Fakher Maya **
Zakwan Al-Abdo***

(Received 19 / 2 / 2007. Accepted 7/5/2007)

□ ABSTRACT □

The myth of Tamooz, the god of spring, may symbolize birth after death and the myth of the phoenix, which rejuvenates, are popular myths celebrated by contemporary poets.

Khalil Hawi is an eminent poet in this respect. He has exploited these two myths to interpret the crisis in the Arabic civilization and endeavor to reanimate it. His poem "Beyond Glaciations" is considered as a rich sample benefiting from these two myths. He casts a mythological dimension on the materialistic reality extracting pessimistic vision mixed with the image of resurrecting civilization and forming a national vision in the orbit of existentialist experiment presented through the different lines of his poem.

Keywords: Resurrection, myth, Tommz, phoenix, Glaciations, Khalil, Hawi.

***Professor, Department of Arabic language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Syria.**
****Professor, Department of Arabic language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Syria.**
*****Postgraduate Student, Department of Arabic language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Syria.**

يجد الدارس للشعر المعاصر أن الصورة المعاصرة تحفل بتقنيات جديدة يتوسلها الشاعر لتجسيد رؤياه، وتعد الأسطورة من المصادر المهمة التي يستقي منها الشاعر المعاصر مادة خصبة تسعف تجربته الشعرية وللمجتمع في تقديم موقفه وتطلعاته المستقبلية.

ولعل الشاعر خليل حاوي واحد من أهم الشعراء الذين وظفوا الأسطورة توظيفاً مناسباً في أشعارهم؛ من مثل أسطورة الحياة بعد الموت، أو التجدد الأبدي، وهذا ما نجده في أسطورة تموز، و أسطورة العنقاء.

ولكثرة اهتمام الشعراء بتموز، بوصفه يرمز إلى الحياة والولادة والخصوبة، سمّي من اشتغلوا عليه الشعراء التموزيين، أما العنقاء فقد راح الكثير من الشعراء يسخّرونها لتكون رمزاً لتجدد الحضارة والاحتفاء بنعيم الاحتراق. من هنا، كان اختيارنا لقصيدة "بعد الجليد " للشاعر خليل حاوي لأنها تستفيد من الأسطورتين السابقتين للتعبير عن الأزمة الحضارية، وعن توق الشاعر إلى النهوض من الرماد لبناء مجتمع جديد تملؤه الحيوية والنضارة، بعد أن وعى تماماً حركة المجتمع وخبر التاريخ.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تتبع القصيدة بتفاصيلها الدقيقة لتوضح بعض دلالات رموزها وتتقصى الأبعاد الأسطورية وإسقاطها على الواقع المعاصر، كما أنها تعرض للكثير من القراءات النقدية لهذه القصيدة لدى دارسيها.

وعليه، فإن دراسة هذه القصيدة هي محاولة للتفسير الأسطوري في ضوء التجربة الشعرية التي تثيرها رؤيا كونية شمولية.

تتألف قصيدة " بعد الجليد " من لوحتين، الأولى بعنوان "عصر الجليد " والثانية بعنوان "بعد الجليد"، واللوحتان متكاملتان فنياً، ويتمثل الشاعر الأسطورة للتعبير عن الحياة والموت، إذ يفيد من أسطورة تموز وأسطورة العنقاء، وهو يوضح ذلك في مقدمة نثرية مهّد بها للقصيدة: " في هذه القصيدة التي تعبر عن معاناة الموت والبعث، من حيث هي أزمة ذاتٍ وحضارة وظاهرة كونية، يفيد الشاعر من أسطورة تموز وما ترمز إليه من غلبة الحياة والخصب على الموت والجفاف، ويفيد من أسطورة العنقاء التي تموت ثم يلتهب رمادها فتحيا ثانية " [1].

ونجد أنّ اللوحة الأولى تحمل صور الحزن واليأس والألم والموت، أما اللوحة الثانية فهي تحمل صور البعث الموحية بالنشوة والحيوية والانطلاق مجسدة في رموز جنسية مستمدة من أساطير الخصب القديمة (2).

في هذه القصيدة يستفيد الشاعر من دورة الطبيعة ليعبر عن الانبعاث الحضاري، ومعاناته في عالم يملؤه الموت، وهو يختار تموز والعنقاء، بوصفهما أسطورتين لا رمزين فقط (3)، يقول:

عندما ماتت عروق الأرض
في عصر الجليد
مات فينا كل عرق
يبست أعضاؤنا لحماً قديد
عبثاً كنّا نصدّ الريح
والليل الحزينا

---

[1] خليل حاوي. *ديوان خليل حاوي* (بيروت: دار العودة، دون رقم الطبعة، 1993)115.

(2) ينظر: د. ريتا عوض. *" رائد القصيدة الحديثة يعيد للشعر دوره الحضاري "*، مقدمة ديوان خليل حاوي. بيروت: دار العودة، من دون رقم الطبعة، (1993): 5.

(3) ينظر: د. نذير العظمة. *مدخل إلى الشعر العربي الحديث* (جدة: دار البلاد، الطبعة الأولى، 1988) 250.

ونداري رعشة

مقطوعة الأنفاس فينا[4].

لقد حلّ الموت وغمر الأرض في هذا العصر الجليدي، تقطعت العروق وماتت، ويبست الأعضاء وتحولت إلى لحمٍ قديد، هذا الموت الوجودي يتسربل في دخيلاء العالم ويصل إلى كل شيء، إنه موت حتمي إذ بدأ يدب في موجودات الحياة التي راحت– بعد فشل محاولاتها لصدّه– تستسلم لرعشته المؤذنة بتحولها من الحياة إلى الموت في الحياة، في ضوء هذه التجربة الوجودية يقدم الشاعر فكراً شعرياً جديداً ومعاناة ذاتية حديثة تعبّر عن وعيه الحضاري، يقول:

رعشة الموت الأكيد

في خلايا العظم، في سرّ الخلايا

في لهاث الشمس، في صحو المرايا

في صرير الباب، في أقبية الغلّة،

في الخمرة، في ما ترشح الجدران

من ماء الصديد

رعشة الموت الأكيد[5]

وهكذا، تعطلت مظاهر الحياة، ويبست أثداء الطبيعة، وسرّ الخلايا في العظام، والكائنات جميعها انكشف وتجمدت الحياة، حتى أنّ نار الشمس انطفأت، وذهب كل إشراق وتوقفت كل حركة، والمرايا معتمة، والباب توقف عن الصرير، لأن أقبية الغلّة فارغة ودنان الخمرة خاوية، والجدران تنزّ قيحاً نتناً ودماً من دملها معلنةً حلول الموت الأكيد(6)، أمام هذا الواقع المتجمّد يتضرّع الشاعر لإله الخصب ليعيد الحياة إلى الأرض التي تحولت إلى امرأة عاقر وليس من يزرع البذرة داخلها، إنها تعاني شهوة متأججة وتحن إلى الاتحاد بالذكر، وتموز هو العاشق المنتظر، هو الإله بعل، الميت المنبعث، واهب الحياة، هو المنقذ المنتظر يزرع البذرة في رحم الأرض، وما رغبة الأنثى وحنينها إلى الذكر وشوقها إلى وصاله إلا رمز استمرارية الحياة والانتصار على الموت (7).

فالأنثى إذن، هي (الأرض /المرأة / الحياة) ومن دون الاتحاد بالذكر لا تتم الولادة، وهذا الموت المسيطر لا تدفعه إلا الحياة، وكي تتحقق الحياة يجب أن يتم الانبعاث، والشاعر في هذه القصيدة يمثل الإنسان الرائد بحدسه وبوعيه، ويطأ الموت توقاً إلى القيامة ومعانقة الحياة.

وعليه، فإن تموز هو المنقذ الذي يحمل مقومات الحياة، وهو وحده القادر على فضّ بكارة الأرض وإنهاء العقم، والشاعر حين يلجأ إليه يعي تماماً ما يحمله هذا الإله من خصوبة وقدرة على تذويب الجليد وإعادة الحياة، يقول:

يا إله الخصب، يا بعلاً يفضُّ

التربة العاقر

يا شمس الحصيد

---

(4) خليل حاوي. *ديوان خليل حاوي*. 117.

(5) خليل حاوي. *ديوان خليل حاوي*. 118.

(6) ينظر: د. يوسف حلاوي. *الأسطورة في الشعر المعاصر*(بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى 1994) 138.

(7) ينظر: د.*ريتا عوض*. " *رائد القصيدة الحديثة يعيد للشعر دوره الحضاري* . 14 – 15.

يا إلهاً ينفض القبر
ويا فصحاً مجيد،
أنت يا تموز، يا شمس الحصيد
نجّنا، نجّ عروق الأرض
من عقمٍ دهاها ودهانا
أدفئ الموتى الحزانى
والجلاميد العبيد
عبر صحراء الجليد
أنت يا تموز، يا شمس الحصيد [8]

إذن، الشاعر يصلي مع الجماعة للآلهة، وفي هذه الصلاة الجماعية تقام الطقوس وتؤدى الشعائر، وبهذا يصور المعاناة الجماعية وهذه المعاناة تصور الأزمة الحضارية والمخلص الوحيد للبشرية من هذه الأزمة هو(تموز/ الإله بعل / المسيح)/(شمس الحصيد).

وإذا كان الشاعر قد ركّز على تموز فإننا نجد أنّ رموزه تتداخل وتتكامل في وحدة الموقف، فيتحد الديني مع الأسطوري، والإلهي مع الإنساني، ليدفع بكل رموز الانبعاث لتخلص البشرية من أزمتها، وقد يكون ركّز على تموز لأنه إله ولد من الحياة لمجد الحياة وحيوتها، أما المسيح فقد وفد إليها من خارج وكبت الشهوة الحيوية مما أضعف فعل الإنسان الفاعل في الوجود(9).

لكن هذه الصلوات والطقوس كلها لم تجدِ نفعاً، وكانت عبثاً عبر صحراء الجليد المترامية الأطراف ويحكمها (العقم / الموت / العدم)، يقول:

عبثاً كنا نَصّلي ونُصلّي
غرّقتنا عتمة الليل المهلّ
عبثاً نعوي ونعوي ونعيد
عبر صحراء الجليد
نحن والذئب الطريد
عبثاً كنا نهزّ الموت
نبكي، نتحدى،
حبّنا أقوى من الموت
وأقوى جمرنا الغض المندّى [10]

إذن،عبثاً تتم الولادة، فأصواتنا كانت كعواء الذئاب الطريدة الجائعة في ظلمة الليل وتحت الجليد، كنا نبكي ونتحدى الموت مدّعين أنّ حبنا سيصرعه، وجمرنا الغضّ سيعيد إليه حرارة الحياة، لكن كل ذلك كان دون طائل [11]،

---

[8] خليل حاوي. *ديوان خليل حاوي*. 119– 120.

(9) ينظر: إيليا حاوي. *خليل حاوي في سطور من سيرته وشعره* (بيروت: دار الثقافة، الطبعة الأولى،1984). 127

[10] خليل حاوي. *ديوان خليل حاوي*. 120–121.

[11] ينظر: د. يوسف حلاوي. *الأسطورة في الشعر المعاصر*. 140.

وهتاف (الحب أقوى من الموت) يموت مع الحشرجة (12)، وماذا يفعل الكلام، والبكاء أمام الجليد الممتد عبر الصحراء؟

إن الحب لا يكفي أيضاً، لأن الحب يجب أن يمتلك القدرة على الفعل، والشعارات كالشعائر كانت عديمة الجدوى، وفشلت عملية التمرد، وانكفأت الرؤيا، وبقيت الأزمة في غمرة الصراع الوجودي بين مختلف الحتميات الكونية والحضارية، وبين رغبة التحرر والخلاص من سيطرة هذه الحتميات على الإنسان (13).

وهكذا، يبقى التمرد ضمن دائرة العبث، ويبقى الموت مسيطراً، يقول:

وارتمينا جثثاً، لحماً حزيناً
ضم في حسرته لحماً قديد،
عبثاً نغتصب الشهوة حرّى
عبثاً نسكبها خمراً وجمرا
من بقايا في الوريد،
علّه يُفرخ من أنقاضنا نسل جديد
ينفض الموت، يغلّ الريح
يدوي نبضة حرّى
بصحراء الجليد(14)

وهكذا، تحول الإنسان إلى جثث ولحم قديد ومحاولات إنعاش الحياة تخفق كلها، ويبقى الرجاء في ولادة جيل جديد من أنقاض جيل الشاعر هو الأمل لنفض الموت والخلاص من الريح، التي هي سلاح الموت، سلاح بيد الواقع المادي المبتذل، والثورة على الريح هي ثورة على هذا الواقع الذي يغرّب الإنسان عن ذاته وعن محيطه[15]. لكن هذه الثورة لم تنجز فالتمرّد فشل، ومحاولة الخلاص فشلت، والطقوس كذلك، وبقي الجليد يغطي الأرض ويحجب عنها الحياة، فالحبّ لم ينبت من اللحم القديد إلا أجيالاً من الموتى الحزانى، يقول:

" **حبنا أقوى من الموت العنيد** "
غير أنّ الحبّ لم ينبت
من اللحم القديد
غير أجيال من الموتى الحزانى

(12) ينظر: جليل كمال الدين. *الشعر العربي الحديث وروح العصر*(بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1964) 424.

(13) ينظر: ماجد قاروط*." المعذب " في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان من عام1945 إلى عام 1985*، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، من دون رقم الطبعة، 1999) 161.

(14) خليل حاوي. *ديوان خليل حاوي*. 122–123.

(15) ينظر: د. سعد الدين كليب. *وعي الحداثة " دراسات جمالية في الحداثة الشعرية* ". (دمشق: اتحاد الكتاب لعرب، من دون رقم الطبعة، 1997)87.

تتمطى في فم الموت البليد [16]

إذن، كما ذكرنا آنفاً، الحب يحتاج إلى القدرة على الفعل، ويحتاج إلى حياة، فأي حبّ سيولد من اللحم القديد؟ هذه الولادة عقيمة أنجبت موتى حزانى، فالجثث تتناسل جثثاً ويبقى الحزن مرافقاً للموتى، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أنّ القصيدة تحمل معاني الموت الوجودي فالموتى عادة لا يشعرون فكيف هم حزينون عند الشاعر، هذا يؤكد أنهم موتى في الحياة وبهذا، يكون الموت وجودياً.

ولعلنا نجد، على مستوى الخطاب، أنّ الشاعر يتحول من ضمير المخاطب، عندما يتوجه إلى تموز، إلى ضمير المتكلم بالجمع (ارتمينا، نغتصب، نسكبها،. ....) ولعله في تداخل الضمائر في القصيدة يوحد بين أزمة الذات وأزمة الحضارة(17).

وهكذا،يكون الموت هو الحالة النهائية،والمنجزة على أرض الواقع في هذه اللوحة(18) وليس أمام الشاعر إلا التحوّل، فيجد أنّ العنقاء هي ملاذه الأخير في هذه الأزمة، وهذا ما تقدمه اللوحة الثانية " بعد الجليد" ومن العنوان ندرك التحول فيما يحمله من دلالة زمنية وكأنه يقول: بعد عصر الجليد، فكيف انتهى عصر الجليد، بعد إخفاق عملية الولادة فلا بدّ من أنّ العنقاء هي المخلّص الذي نجّا المجتمع، نجد في هذه اللوحة رؤيا النهوض الحضاري بعد انكفائها ويأس الشاعر من الواقع في اللوحة السابقة، الرؤية هنا تؤكد توق الشاعر إلى بعث الحضارة العربية رغم كل أشكال الموت المتعددة والمتراكمة في الواقع، فينتقل الشاعر من معاناة الذات إلى معاناة الإنسان، ومن معاناة الوطن إلى معاناة الحضارة، ويدعو إلى قيامة الشرق، وبعث شعوبه، وتتوهج نجواه لتحقيق حلم قوميّ ومطمح حضاري ينبع من حب عميق للإنسانية(19)، وتتحول معاناة الموت، ودعاء البعل وتموز إلى تقمّص العنقاء، والاحتراق معها من أجل الانبعاث، يقول:

كيف ظلت شهوة الأرض
تدوّي تحت أطباق الجليد
شهوة للشمس، للغيث المغني
للبذار الحيّ، للغلة في قبوٍ ودنٍّ
للإله البعل، تموز الحصيد،
شهوة خضراء تأبى أن تبيد،
وحنين نبضه يسري إلى القبر، إلينا،
يا حنين الأرض لا تقسُ علينا
لا تحر الدم في الأموات، فينا
موجع نبض الدم المحرور

---

[16] خليل حاوي. *ديوان خليل حاوي*. 123.

(17) ينظر: د. نذير العظمة. *سفر العنقاء" حفرية ثقافية في الأسطورة"* (دمشق: وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، 1996) 252-253.

(18) ينظر: ماجد قاروط. *" المعذب" في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان من عام 1945إلى عام. 1985*. 162.

(19) ينظر: د. نذير العظمة. *مدخل إلى الشعر العربي الحديث*. 265.

في اللحم القديد،
في عروق بعضها حمّى ربيعٍ
وجحيم يبتلينا
بعضها صمت ثقيل وجليد[20]

في هذه اللوحة نجد أنّ الجليد الذي غطى الأرض لم يستطع نزع الشهوة من الأرض، فشهوتها تدوي تحت طبقات الجليد فتشقها لتصل إليها أشعة الشمس وتدبّ في عروقها الحياة، فهي مازالت تتشهى الإخصاب، وتتعطش للمياه الخالقة، تتشوق للبذار، للتلقيح كي تعود الغلة للقبو وتفيض الخمرة في الدنان، مازالت الشهوة تتأجج داخلها، إنها عروس تزفّ إلى بعل، وتحن إلى تموز ليمنحها السنابل ويورق الربيع بين ضلوعها (21)، فالغلبة، هنا، للحياة والخصب على الموت والجفاف، وشهوة الأرض للحياة قوة خالقة لا تفنى(22).

وبما أنّ أشكال الموت تعددت في اللوحة السابقة، فإن الأرض تتوسل مقومات الحياة وعناصرها: الضوء، الماء، الهواء،...؛ ويتوسل الشاعر العنقاء للقيام بهذه المهمة فيصبح سياق هذه الأسطورة هو النص وأسطورة تموز مساندة لاحتراقها الذي تولد من خلال رماده (23)، لكن هذه الشهوة قاسية ومؤلمة لأن الجلاميد العبيد اعتادوا الموت فإذا ما جرى دم الحياة في لحمهم المقدد، كان نبضه موجعاً بعد الصمت الطويل والتحجر المديد(24)، فمن يعتاد الضعف، والاستسلام للواقع المادي يصعب عليه النهوض والقيام من جديد، وتحمّل مشاق هذا النهوض، يقول:

إن يكن ربّاه،
لا يحيي عروق الميّتينا
غير نار تلد العنقاء، نار
تتغذى من رماد الموت فينا
في القرار،
فلنعانِ من جحيم النار
ما يمنحنا البعث اليقينا:
أمماً تنفض عنها عفن التاريخ،
واللعنة، والغيب الحزينا
تنفض الأمس الذي حجّر
عينيها يواقيتاً بلا ضوء
وبحيرات من الملح البوار،
تنفض الأمس الحزينا والمهينا[25]

---

[20] خليل حاوي. *ديوان خليل حاوي*. 124–125.

(21) ينظر: د. يوسف حلاوي. *الأسطورة في الشعر المعاصر*. 141.

(22) ينظر: حسين مروة. *دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي*(بيروت: مكتبة المعارف، من دون رقم الطبعة، 1988) 418.

(23) ينظر: د. نذير العظمة. *سفر العنقاء*. 253.

(24) ينظر: د. يوسف حلاوي. *الأسطورة في الشعر المعاصر*.141–142.
وينظر: جليل كمال الدين. *الشعر العربي الحديث وروح العصر*. 424.

إذن، يلجأ الشاعر إلى أسطورة العنقاء التي تحرق نفسها وتنبعث من رمادها متمتعةً بالقوة والنضارة إلا أنّ العنقاء في القصيدة تحتاج إلى نار تتغذى من رماد الموت الذي يعانيه واقع الشاعر، فالاحتراق لا يقتصر على العنقاء، وإنما يمتد إلى الشاعر والشعب وهذا يتطلب قدرة على تحمل الاحتراق بالنار كي تتم عملية التطهير والخلاص من الأدران، فالنار عنصر مهم من عناصر الحياة وهي تهب النور والحرارة، ويحمل رمز النار في القصيدة عدداً من الدلالات فهي تحرق رموز التخلف، وتذيب الجليد، وتلهب الرماد البارد، وتهب دفء الحياة (26) والشاعر يجمع بين الماء والنار في هذه اللوحة وكلاهما عنصران مهمان من عناصر الحياة كما أنهما رمزان للتطهير، إضافة إلى أنهما يذيبان الجليد.

وعليه، فإن هذه الثنائية الضدية تنسجم جمالياً في الموقف وتسعف الشاعر في تقديم أسطورة تموز، وأسطورة العنقاء في سياق نصّي واحد من دون الوقوع في التناقض، وإذا نعمت الأرض بقطرة المطر التي تغذي البذور وتهبها الحياة، فإن النار تحرق الشوائب كلها، وتؤسس لمجتمع جديد خالٍ من التحجّر، وتنفض عن الشعب الذلّ والهوان، وتعيد له كرامته، هذا هو البعث القادم من نعيم الحرق، وهاهي ذي جموع الشعب تصلي للفجر القادم، يقول:

ثم تحيا حرّة خضراء تزهو وتصلي
لصدى الصبح المطلّ
وتعيد
من ضفاف"الكنج" " للأردن" "للنيل"
تصلي وتعيد:
يا إله الخصب ويا تموز، يا شمس الحصيد
بارك الأرض التي تعطي رجالاً
أقوياء الصُلب نسلاً لا يبيد
يرثون الأرض للدهر الأبيد،
بارك النسل العتيد
بارك النسل العتيد
بارك النسل العتيد
يا إله الخصب، يا تموز، يا شمس الحصيد(27)

إنّ الشعوب الشرقية تردد شعائر الانبعاث لتعيد الاخضرار إلى الأرض ولتبزغ شمس الحضارة من جديد بصباحها المضيء بنور العلم والمعرفة، وأصواتها ترتفع بالدعاء لإله الخصب تموز من أجل الوقوف ضد السكونية والتحجر، فالشاعر يتعاطى مع الرمز التموزي بدقة فكرية كونية شمولية، فهو تموزي وجودي تقوم رؤياه على بعث

---

(25) خليل حاوي. *ديوان خليل حاوي*. 126–127.

(26) ينظر: د. ريتا عوض. "*رائد القصيدة الحديثة يعيد للشعر دوره الحضاري* ". 14.

(27) خليل حاوي. *ديوان خليل حاوي*. 127– 128.

الإنسان في الشرق كله من"الكنج" إلى " النيل " كما أنّ وجوديته تتخطى الخلاص الفردي إلى الخلاص الجماعي[28]، والقوى الأسطورية التي توسلها الشاعر في القصيدة قادرة على قلب الواقع وانبعاثه عن طريق إسقاط تلك الجواء على البنية الاجتماعية والسياسة المعاصرة، فقد جعلت مغامرة الشاعر التاريخ والمستقبل حضوراً مباشراً أمام الذات العارية وكشفت من خلال الرموز الأسطورية مسافة القلق، والشوق، واليأس، جواء التجربة الانبعاثية العربية، وهذه المغامرة بذاتها رؤيا، واستغراق حقيقي بالواقع الذي ينوس بين التحجر، والحركة، والانبثاق، والتجسد، والتلاشي، والنمو (29).

وإذا كانت القصيدة خليطاً ديالكتيكياً من الذاتي والموضوعي فإن الذاتية كانت تحرك وجدان خليل، وهي غالبا ما تكون ذاتية قومية، توغل في أعماق النفس، وتتعقد،وتتسع فتتحد بالرموز الكونية التي جسدت بها هذه المعاناة قبلاً (30).

الخاتمة:

تأسيساً على ما سبق، نجد أنّ خليل حاوي يخلق للشعر الحديث بنية فكرية، نفسية، تاريخية، فنية، ويتميز شعره بوحدة الرؤيا الخلاّقة، وانسجام البنية وتماسك الأسلوب وصفاء الرموز وتوهجها، وهذه القصيدة توضّح براعة الشاعر في التعبير الفني عن أزمة الحضارة العربية عبر الأسطورة التي تمنح النص طاقةً ديناميةً تفجر الدلالات الكامنة في السياق الفني، فتموز والعنقاء يشكلان محورين رئيسين لبث رؤيا الانبعاث الحضاري المتجلية في القصيدة.

وهكذا نجد أنّ قصيدة " بعد الجليد " تعدّ أنموذجاً جيداً لوعي خليل حاوي الحضاري، وإبداعه الفني، وصدق مشاعره، وحسّه القومي، وعمق تجربته، ونفاذ رؤياه وجمالية موقفه الشعري.

مصدر البحث:

(1)– حاوي، خليل. ديوان خليل حاوي. بيروت: دار العودة، من دون رقم الطبعة، 1993.

مراجع البحث:

[28] ينظر: د.نذير العظمة. *مدخل إلى الشعر العربي الحديث.267.*

(29) ينظر: ميخائيل إمطانيوس. *دراسات في الشعر العربي الحديث* (بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى،من دون تاريخ) 39.

(30) ينظر: إيليا حاوي. *خليل حاوي في سطور من سيرته وشعره*،.133–134.

(2)– إمطانيوس، ميخائيل. دراسات في الشعر العربي الحديث. بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، من دون تاريخ النشر.

(3)– حاوي، إيليا. خليل حاوي في سطور من سيرته وشعره. بيروت: دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1984.

(4)– د. حلاوي، يوسف. الأسطورة في الشعر المعاصر. بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، 1994.

(5)– د. العظمة،نذير. سفر العنقاء" حفرية ثقافية في الأسطورة ". دمشق: وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، 1996.
– مدخل إلى الشعر العربي الحديث. جدة: دار البلاد، الطبعة الأولى، 1988.

(6)– قاروط، ماجد. " المعذب" في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان من عام1945 إلى عام 1985. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، من دون رقم الطبعة، 1999.

(7)– د. كليب، سعد الدين. وعي الحداثة " دراسات جمالية في الحداثة الشعرية ". دمشق: اتحاد الكتاب العرب، من دون رقم الطبعة، 1997.

(8)– كمال الدين، جليل. الشعر العربي الحديث وروح العصر. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى،1964.

(9)– مروة،حسين. دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي. بيروت: مكتبة المعارف، من دون رقم الطبعة،1988.